تعظيم قدر الصلاة

الدكتور
أحمد فريد
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

توزيع

دار الخلفاء الراشدين   دار الفتح الإسلامي



دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٦٠٤٠

توزيع

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٢٠١٥٢٩٠٨-٠١٠٥٠١٣١٥١

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية - مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٦٧١٤٧٦٨-٠١٠٢٧٧١٠٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي غمر [1] العباد بلطائفه ، وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه ، فارق الملوك بالتفرد بالجلال [2] والجبروت [3] ، وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب ، فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات في الجماعات والخلوات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليمًا .

أما بعد :

فإن الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات ، ولاشك أن معرفة أقدار العبادات مما يشحذ

---

(١) الغَمْرُ : الماء الكثير المُغَرِّق .

(٢) الجلال : العظمة .

(٣) الجبروت : هو القهر ، صفة الله تعالى ،والجبار : هو الذي لا يُنال ، وقيل : العالي فوق خلقه .

الهمم في الاعتناء بها ، وبذل نفائس الأنفاس في إتقانها واستكمال شروطها ومكملاتها ، ومن علامة التوفيق أن يكون شغل العبد فيما يعنيه ، ولاشك كذلك في أن الصلاة هي سيدة العبادات وأم الطاعات ، وحظ العبد من الإسلام كحظه من الصلاة ، وإذا أردت أن تعرف دين العبد فانظر إلى صلاته ، قال الحسن : يا ابن آدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك [١] .

وهذه الرسالة تذكرة لي ولإخواني بعظيم قدر الصلاة وطريق استحضار الخشوع فيها ، أرجو بها من فضل الله ﷻ أن يوفقني وإخواني للاهتمام بالصلاة ، وأدائها في الوقت الذي ينبغي ، على الوجه الذي ينبغي من كمال الخشوع فيها وأداء حق الله فيها ، فمن حافظ على الصلاة ، حافظت عليه الصلاة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

قال القاسمي : فإن قلت : كم من مصلٍ يرتكب [٢] ولا تنهاه صلاته !

---

(١) حسن : أخرجه البيهقي في « شعب [illegible] (٣١٧٦/١٥٣/٣)

(٢) أي : المعاصي .

قلت : الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مَقَدِّمًا للتوبة النصوح متقيًا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

ويصليها خاشعًا بالقلب والجوارح ، ثم يحوطها بعد أن يصليها ، فلا يحبطها ، فهي الصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر .

عن الحسن قال: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة ، وهي وبال عليه [1] ، أفاده الزمخشري .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

قال الزمخشري : أي : وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله كما قال : ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [2] [الجمعة : ٩] .

والله يتولانا ويمن علينا بأسباب رحمته إنه خير مسؤول وأكرم مأمول والحمد لله رب العالمين .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٥٤/ ١١٠٢٥) عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا ، والحديث ضعفه العلامة الألباني : في « ضعيف الجامع » (٥٨٣٤) .

(٢) محاسن التأويل ﷺ بتصرف (١٣/ ١٥٢ - ١٥٣) .

تعظيم قدر الصلاة

١ – مما يدل على تعظيم قدر الصلاة أنها أول فريضة بعد الإخلاص والتوحيد :

قال تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [(١)] [البينة : ٥] .

---

(١) ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ : أي على دين إبراهيم عليه السلام

قال الأخفش: الحنيف : المسلم وكان في الجاهلية يقال : من اختتن وحج البيت فهو حنيف ؛ لأن العرب لم تتمسك في الجاهلة بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت ، فكل من اختتن وحج قيل له حنيف ، فلما جاء الإسلام تمادت الحنيفية بالحنيف المسلم .

ومعنى الحنيفية في اللغة : الميل ، والمعنى في الشرع : الميل إلى الإسلام والإقامة على عَقْدِه [لسان العرب (٩/ ٥٧)] بتصرف .

﴿ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ : أي ذلك الدين الذي أمروا به دين القيمة ، أي : الدين المستقيم« القرطبي ٢٠/ ١٤٤ » وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾
=

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله** » [(١)] . ولما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له : « **إنك تأتي قومًا أهل كتاب ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأخبرهم أن الله افترض عيهم خمس صلوات في اليوم والليلة** » [(٢)] .

٢- ومما يدل على عظيم قدرها افتراضها على أنبياء الله ورسله ـ صلى الله عليهم وسلم ـ :

قال تعالى في حق موسى عليه السلام :

﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى

ابن كثير (٤/ ٥٣٨) .

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٧/ ٢٥) ، ومسلم (١ / ٥٣/ ٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٠٥/ ١٣٣١) ، ومسلم (١/ ٥٠ / ١٩) ، وفي رواية : « **فأول ما تدعوهم إليه عبادة الله** » ، وفي رواية : « **فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ...** » أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٨٥/ ٦٩٣٧) .

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [1] [طه : ١٣ـ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [2] [يونس : ٨٧] .

ومما يدل على افتراضها على إبراهيم أنه لما ذهب بإسماعيل ﷺ دعا ربه فقال : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

ومما يدل على افتراضها على إسماعيل ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا

---

(١) ﴿ لِذِكۡرِيٓ ﴾ : قيل معناه : صل لتذكرني ، وقيل معناه : وأقم الصلاة عند ذكرك لي ، ويشهد لهذا الثاني حديث أنس في « الصحيحين » أن النبي ﷺ قال : « **من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك** » رواه البخاري (١/ ٢١٥/ ٥٧٢) ، ومسلم (١/ ٤٧٧/ ٦٨٤)، وانظر القرطبي (١١/ ١٧٧) ، والطبري (١٦/ ١٤٧) ، وابن كثير (٣/ ١٤٥) .

(٢) ﴿ تَبَوَّءَا ﴾ : يقال تبوأ فلان لنفسه بيتًا إذا اتخذه ، وكذلك تبوأ مصحفًا إذا اتخذه ، وبوأته أنا بيتًا إذا اتخذته له .

﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ ﴾ أي : واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها ، وهذا قول ابن عباس وإبراهيم النخعي ومجاهد والربيع بن أنس .

وقال آخرون معنى ذلك واجعلوا مساجدكم قبل الكعبة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة . انظر تفسير « الطبري » (١١/ ١٥٣) .

نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [مريم : ٥٤ـ٥٥] .

ومما يدل على فرضها على إسحاق ويعقوب قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [الأنبياء : ٧٢ـ٧٣] .

ومما يدل على افتراضها على يونس عليه السلام قوله عز وجل : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٣ـ١٤٤] .

قال ابن عباس : من المصلين .

ومما يدل على افتراضها على شعيب عليه السلام أنه لما نهى قومه عن عبادة غير الله ونهاهم عن التطفيف [1] في الكيل والوزن قالوا : ﴿ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ [هود : ٨٧] .

وفي ذلك دليل على أنهم لم يكونوا يرونه يعظم شيئًا من

---

(١) التطفيف : البخس في الكيل والوزن ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ فقيل التطفيف نقص يخون به صاحبه في كيل أو وزن ، ولا يسمى بالشيء اليسير مطففًا على إطلاق الصفة [لسان العرب (٩/ ٢٢٢)] بتصرف .

الأعمال تعظيم الصلاة .

ومما يدل على افتراضها على نوح وجميع الأنبياء من بعده ـ عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ قوله ﷻ بعد أن ذكر الأنبياء : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] .

فأخبر عن جميع الأنبياء أن مفزعهم كان إلى الصلاة يعبدون الله ويتقربون إليه ثم قال : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [(1)] [مريم : ٥٩] .

---

(١) ﴿ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ : اختلف أهل التأويل في صفة إضاعة الصلاة فقال بعضهم : إضاعتها تأخيرهم إياها عن مواقيتها وتضييعهم أوقاتها .

وقال آخرون : بل كانت إضاعتهم لها تركها . انظر تفسير الطبري (١٦/ ٧٩/ ٩٨) ، والقرطبي (١١/ ١٢٢).

﴿ غَيًّا ﴾ : عن ابن مسعود قال : وهو واد في جهنم . أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩/ ٢٢٧/ ٩١٠٦) ، وفي رواية قيس بن الربيع « نهر في جهنم » ، السابق (٩/ ٢٢٧/ ٩١٠٧) .

٣- ومما يدل على عظم قدرها نص التنزيل على وجوبها :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [النساء : ١٠٣] .

قال الحسن : كتابًا واجبًا ، وقال القاسمي : فرضًا مؤقتًا لا يجوز إخراجها عن وقتها [١] .

وقال تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الروم : ٣١] .

قال الحافظ : المنيب التائب من الإنابة وهي الرجوع ، وهذه الآية مما استدل به من يرى تكفير تارك الصلاة لما يقتضيه مفهومها ، وأجيب بأن المراد أن ترك الصلاة من أفعال المشركين فورد النهي عن التشبه بهم لا أن من وافقهم في الترك صار مشركًا ، وهي من أعظم ما ورد في القرآن في فضل الصلاة [٢] .

وقال آخرون : بل عنَى بالغي في هذا الموضع الخسران قاله ابن عباس « الطبري ١٦/ ١٠٠» .

(١) محاسن التأويل (٥/ ٤٣١) .

(٢) فتح الباري (٢/ ٧) مواقيت الصلاة .

٤- ومما يدل على عظم قدرها أن النبيﷺ كان يأخذ البيعة على إقامتها :

فعن جرير بن عبد الله قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم [١] .

قال الحافظ : كان النبي ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنها رأس العبادات البدنية ، ثم أداء الزكاة لأنها رأس العبادات المالية ثم يُعْلِمْ كل قوم ما حاجتهم إليه أمس ، فبايع جريرًا على النصيحة لأنه كان سيد قومه ، فأرشده إلى تعليمهم بأمره بالنصيحة لهم [٢] .

٥- ومما يدل على عظم قدرها أن النبي ﷺ جعلها من أعمدة هذا الدين التي لا يقوم الدين إلا بها فقال ﷺ : « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » [٣] .

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣١/ ٥٧) ، ومسلم (١/ ٧٥/ ٥٦) .
(٢) فتح الباري (٢/ ٨) مواقيت الصلاة .
(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٢/ ٨) ، ومسلم (١/ ٤٥/ ١٦) .

٦- **ومما يدل على عظم قدرها : أن النبي ﷺ جعل أداءها في أول وقتها أحب الأعمال إلى الله ﷻ** : فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :سألت النبي ﷺ أي الأعمال أحبُّ إلى الله ؟ قال : **الصلاة على وقتها** . قال : ثم أي ؟ قال : **ثم بر الوالدين** . قال ثم أي ؟ قال : **الجهاد في سبيل الله** »[1] .

وفي رواية : « أي العمل أفضل ؟ » .

قال الحافظ : قال ابن دقيق العيد : الأعمال في هذا الحديث محمولة على البدنية ، وأراد بذلك الاحتراز عن

وقال ابن رجب رحمه الله : المقصود تمثيل الإسلام ببنيانٍ ودعائم البنيان هذه الخمس فلا يثبت البنيان بدونها وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا ينقص بنقص ذلك بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا بغير إشكال وكذلك يزول بفقد الشهادتين ... جامع العلوم والحكم (١/ ٤٣) ط . دار المعرفة ببروت .

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩٧/ ٥٠٤) ، ومسلم (١/ ٩٠/ ٨٥) ، وأتى صريحًا ما يدل على أن الصلاة أفضل الأعمال ، وذلك لحديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن** » ، أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧/ ٢٢٤٣٢) ، وابن ماجة (١/ ١٠٢/ ٢٧٧) وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٩٥٢) .

الإيمان لأنه من أعمال القلوب ، فلا تعارض حينئذ بينه وبين حديث أبي هريرة : « أي الأعمال أفضل ؟ » قال ﷺ : « **الإيمان بالله** » [١] الحديث .

قال ابن بطال : فيه أن البدار إلى الصلاة في أول وقتها أفضل من التراخي فيها لأنه إنما شرط فيها أن تكون أحب الأعمال إذا أقيمت لوقتها المستحب [٢] .

٧- وما يدل على عظم قدرها أنها أول ما يحاسب عليه لعبد يوم القيامة من أعمال الجوارح :

عن يونس عن أبي هريرة - وأحسبه ذكره عن النبي ﷺ - : « **إن أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة** » ، قال : « **يقول ربنا جَلَّ وعزَّ لملائكته** - وهو أعلم - : **انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فَإِنْ كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئًا قال : انظروا هل لعبدي من**

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٨/ ٨٣) ، وفي رواية : « إيمان بالله ورسوله » (٢/ ٤٢٥/ ٩٤٩٠) .

(٢) فتح الباري (٢/ ٩) مواقيت الصلاة .

تطوع ؟ فإن كان له تطوع قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم » [١] .

وقال العراقي في « شرح الترمذي » : لا تعارض بينه وبين الحديث الصحيح إنَّ أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء فحديث الباب محمول على حق الله تعالى ، وحديث الصحيح محمول على حق الآدميين فيما بينهم ، فإن قيل فأيهما يقدم محاسبة العباد على حق الله تعالى ، أو محاسبتهم على حقوقهم ؟ فالواجب أن هذا أمر توقيفي وظواهر الأحاديث دالة على أن الذي يقع أولًا المحاسبة على حقوق الله تعالى قبل حقوق العباد كذا في مرقاة الصعود [٢] .

٨- ومما يدل على عظم قدرها كونها كفارة للذنوب والخطايا :

عن ابن مسعود أن رجلًا أتى النبي ﷺ فذكر له أنه

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١/ ٢٢٩/ ٨٦٤) ، وأحمد في « المسند » ، وصححه الألباني : في « صحيح الجامع » برقم (٢٥٧١) ، « صحيح أبي داود » (٧٧٠) .

(٢) انظر « عون المعبود » (٣/ ٨٢) ، وتحفة الأحوذي (٢/ ٣٨٣) .

أصاب من امرأة إما قبلة أو مس يد ، كأنه يسأل عن كفارتها ، فأنزل الله : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] .

فقال الرجل : يا رسول الله ألي هذه ؟

قال : « **هي لمن عمل بها من أمتي** » (١) .

وقال ﷺ : « **الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ، إذا اجْتَنَبَ الكبائر** » (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٢٧/ ٤٤١٠) ، ومسلم (٤/ ٢١١٥/ ٢٧٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٩/ ٢٣٣) .

قال النووي في شرح مسلم في شرح حديث « **ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة** » معناه : أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فإنها لا تغفر وليس المراد أن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة فإن كانت لا تغفر شيء من الصغائر فإن هذا وإن كان محتملًا فسياق الحديث يأباه .

قال القاضي عياض : هذا المذكور في الحديث من غفر الذنوب ، ما لم يؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة وأن الكبائر إنما يكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله .

وقد فسرت الصحابة كعمر وعلي وابن مسعود التوبة بالندم ، ومنهم من فسرها بالعزم على أن لا يعود .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **« أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا ، ما تقول ذلك يبقى من درنه »** ؟

قالوا : لا يبقى من درنه شيئًا .

قال : **« فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا »** [(١)] .

قال الطيبي : هذا الحديث مبالغة في نفي الذنوب لأنهم لم يقتصروا في الجواب على لا ، بل أعادوا اللفظ تأكيدًا .

وقال ابن العربي : وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب حتى لا تبقي له ذنبًا إلا أسقطته [(٢)] .

٩- ولعظم قدر الصلاة مدح الله تعالى المصلين :

قال المروزي : ومدح الله عباده المؤمنين فبدأ بذكر الصلاة

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩٧/ ٥٠٥) ، ومسلم (١/ ٤٦٢/ ٦٦٧) .
(٢) فتح الباري (٢/ ١١-١٢) .

قبل كل عمل فقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١-٢] .

فمدحهم في أول نعتهم بالخشوع فيها ، ثم أعاد ذكرها في آخر القصة إعظامًا لقدرها في القربة إليه ولما أعد للقائمين بها المحافظين عليها من جزيل الثواب ونعيم المآب فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (١) [المؤمنون : ٩-١١] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (٢) [المعارج : ١٩-٢١] .

---

(١) ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ : أي هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة ، وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله : ﴿ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾** » .
أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٥٣/ ٤٣٤١) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٥٧٩٩) « الصحيحة » (٥/ ٣٤٨/ ٢٢٧٩) .

(٢) ﴿ هَلُوعًا ﴾ : الهلع : الحرص ، وقيل : الجزع ، وقلة الصبر ، وقيل : هو أسوأ الجزع وأفحشه .

ثم لم يبرئ أحدًا من هذين الخلقين المذمومين من جميع الناس قبل المصلين فقال : ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٢-٢٣] .

١٠ - ومما يدل على عظم قدرها وعيده تعالى لمن أضاعها :

قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] .

عن عبد الله قال : نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر .

وقال عمر بن عبد العزيز : لم يكن إضاعتها تركها ولكن أضاعوا المواقيت [١] .

وقال أبو العباس المبرد : رجل هلوع إذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق ، وأورد الآية . [لسان العرب (٨/ ٣٧٥)] بتصرف .

﴿ جَزُوعًا ﴾ : الجزوع ضد الصبور على الشر ، والجزع نقيض الصبر وجَزِعَ بالكسر يجزع جزعًا فهو جازع وقيل : إذا كثر منه الجزع فهو جزوع . [لسان العرب (٨/ ٤٧)] .

﴿ مَنُوعًا ﴾ : وأصل المنع أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده وهو خلاف الإعطاء . ويقال : هو تحجير الشيء ورجل منوع ومانع ومنَّاع : ضنين ممسك . [لسان العرب (٨/ ٣٤٢)] بتصرف .

(١) أخرجه ابن نصر في « تعظيم قدر الصلاة » (١/ ١٢٣/ ٤٠).

وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ [الماعون : ٤-٦] .

وحكي عن الكفار أنهم لما سئلوا بعد دخولهم النار : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر : ٤٢-٤٣] .

ووبخ الكافر على تركها فقال تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [القيامة : ٣١] ، ولم يضم إلى التصديق شيئًا غير الصلاة ، ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [القيامة : ٣٢] .

فالكذب ضد التصديق والتولي ترك الصلاة وغيرها من الفرائض ، ثم أوعده وعيدًا بعد وعيد فقال : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٤-٣٥] .

ويقال إنها نزلت في أبي جهل ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ٤٨-٤٩] .

وقال النبي ﷺ : « **ليس بين العبد وبين الكفر من الإيمان إلا ترك الصلاة** » [1] .

---

(١) أخرجه النسائي (١/ ٢٣٢/ ٤٦٤) ، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٦٦/ ٦٢٨٨) ،

وقال ﷺ : « **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** » [١] ، وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « **من حافظ على الصلاة كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة ، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف** » [٢] .

قال ابن القيم : لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال ، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة ، ثم اختلفوا في قتله وفي كيفية قتله وفي كفره [٣] .

وأخرجه الدرامي في سننه (١/ ٣٠٧/ ١٢٣٣) بلفظ : « ليس بين العبد وبين الشرك أو بين الكفر إلا ترك الصلاة » ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٤/ ٣٠٥/ ١٤٥٣) بلفظ « ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة » .

(١) أخرجه النسائي (١/ ٢٣١/ ٤٦٣) ، والترمذي (٥/ ١٣/ ٢٦٢١) ، وأحمد (٢/ ٣٤٦/ ٢٢٩٨٧) ، وابن ماجه (١/ ٣٤٢/ ١٠٧٩) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤١٤٣) ، وصحيح ابن ماجه (٨٨٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩/ ٦٥٧٦) ، الدرامي (٢/ ٣٩١/ ٢٧٢) ، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٣٣٠/ ١٤٦٧) ، والحديث إسناده حسن .

(٣) الصلاة لابن القيم (٤)

وقال النووي : وأما تارك الصلاة فإن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركه تكاسلًا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فيه ، فذهب مالك والشافعي ـ رحمهما الله ـ والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب ، فإن تاب و إلا قتلناه حدًّا كالزاني المحصن ، ولكنه يقتل بالسيف ، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب ﷺ ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ وبه قال عبد الله ابن المبارك ، وإسحاق بن راهويه ، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي ـ رضوان الله عليه ـ .

وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي ـ رحمهما الله ـ أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي ، واحتج من قال بكفره بظاهر الحديث الثاني

المذكور وبالقياس على كلمة التوحيد ، واحتج من قال لا يقتل بحديث « **لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث** » [١] وليس فيه الصلاة ، واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النساء : ٤٨] ، وبقوله ﷺ : « **من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة** » [٢] ، وقوله ﷺ : « **لا يلقى الله تعالى بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة** » [٣] ، وقوله ﷺ : « **حرم الله على النار من قال : لا إله إلا الله** » [٤] .

واحتجوا على قتله بقوله تعالى : ﴿ **فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ** ﴾ [التوبة : ٥] ، وقوله ﷺ : « **أمرت**

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٢١/ ٦٤٨٤) ، ومسلم (٣/ ١٣٠٣/ ١٦٧٦) ، وزاد النسائي وابن حبان في أوله « **والذي لا إله غيره لا يحل** .. » الحديث .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥/ ٢٦) ، وعلق الذهبي على هذا الحديث بقوله « قلت : يدخل الجنة على ما كان منه من خير وشر وعلى ما يتم عليه من تعذيب وعفو» [سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٨٧)] .

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٥٧/ ٢٧) .

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٦٤/ ٤١٥) ، ومسلم (١/ ٦٢/ ٣٣) .

أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم » [١] ، وتأولوا قوله ﷺ : « **بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة** » [٢] على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهي القتل ، أو أنه محمول على المستحل أو أنه قَدْ يؤول به إلى الكفر أو أن فعله فعل الكفار والله أعلم [٣] .

١١ - ولعظم قدرها اشترطت الطهارة لأدائها :

قال المروزي رحمه الله : ومن الدليل على أنها أرفع الأعمال أن الله عز وجل أوجب أن لا تؤتى إلا بطهارة الأطراف ونظافة الجسد كله ، واللباس من جميع الأقذار ونظافة البقاع التي يصلى عليها .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/ ٧٠ , ٧١) وانظر تحقيق المسألة .
ابن تيمية في « الفتاوى » (٢٢/ ٤٠) ، وابن قدامة في « المغني » (٢/ ١٥٦ , ١٥٧ , ١٥٨) ، والنووي في « المجموع » (٣/ ١٩) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٤/ ٢٢٥) ، وابن حجر في « فتح الباري » (١٢/ ٢٠٣) ، والشوكاني في « نيل الأوطار » (١/ ٣٦٩) ، وابن حزم في « المحلى » (١١/ ٣٧٦) ، وابن القيم في كتاب « الصلاة وحكم تاركها » (١/ ٣١) ، والألباني في « السلسلة الصحيحة » حديث رقم (٨٧) .

ثم زادها تعظيمًا أنه أمرهم إذا عدموا الماء عند حضور وقت الصلاة أن يضربوا بأيديهم على الصعيد فيمسحوا مكارم وجوههم بالتراب إعظامًا لقدرها أن لا تؤدى إلا بطهارة [1] .

١٢- ومن عِظَم قدرها أنها تؤدى بالقلب مع جميع الجوارح :

قال المروزي : ومن الدليل على عظم قدرها وفضلها على سائر الأعمال أن كل فريضة افترضها الله ، فإنما افترضها على بعض الجوارح دون بعض ، ثم لم يأمر بإشغال القلب به إلا الصلاة ، فإنه أمر أن تقام بجميع الجوارح كلها ، وذلك أن ينتصب العبد ببدنه كله ويشغل قلبه بها ، ليعلم ما يتلو ، وما يقول فيها ، ولم يفعل ذلك بشيء من الفرائض ، فإن الصائم له أن يلتفت وينام ويتكلم ، والمقاتل له أن يلتفت ويتكلم ،والحاج في قضاء مناسكه قد أبيح له أن يتكلم

(١) « تعظيم قدر الصلاة » (١/ ١٧٠) .

كذلك ، فجميع العبادات له أن يعمل فيها ويتفكر في غيرها ، ومنع المصلي من الأكل والشرب وجميع أعمال الدنيا من الالتفات والأفعال بالجوارح إلا بالصلاة وحدها ، ومن التفكر إلا فيما يتلو[1] .

١٣- ولعظم قدرها أمر الله ﷻ بالفزع إليها والاستعانة بها : قال المروزي : وأمر الله عباده أن يفزعوا إلى الصلاة والاستعانة بالصلاة على كل أمرهم من أمر دنياهم وآخرتهم ولم يخص بالاستعانة بها شيئًا دون شيء فقال : ﴿ **وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ** ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وإنما بدأ بالصبر قبلها لأن الإيمان وجميع الفرائض والنوافل من الصلاة وغيرها لا تتم إلا بالصبر ، ثم قال : ﴿ **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ** ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وهم المنكسرة قلوبهم إجلالًا لله ورهبة منه ، فشهد لمن حقت عليه أن يقيمها له أنه من الخاشعين ، وكيف لا يفزع

---

(١) السابق (١/ ١٧١ ، ١٧٢) باختصار .

المؤمنون إلى الصلاة وهي عماد دينهم . أ.هـ.

قال النبي ﷺ : « **رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله** »[١] .

قال ابن رجب : فأخبر النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء رأس الأمر وعموده وذروة سنامه[٢] ، فأما رأس الأمر فيعني بالأمر الدين الذي بعث به وهو الإسلام ، وقد جاء تفسيره في رواية أخرى بالشهادتين فمن لم يقر بهما باطنًا وظاهرًا فليس من الإسلام في شيء ، وأما قوام الدين الذي يقوم به كما يقوم الفسطاط على عموده فهي الصلاة ، وأما ذروة سنامه وهو أعلى ما فيه وأرفعه فهو الجهاد ، وهذا يدل على أنه أفضل الأعمال

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١١/ ٢٦١٦) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨/ ١١٣٩٤) ، وأحمد في « المسند » (٥/ ٢٣١/ ٢٢٠٦٩) .

(٢) سنام البعير والناقة : أعلى ظهرها ، والمقصود به العلو كما في شعر حسان :

وإن سنام المجد من آل هاشمٍ ... بنو بنت مخزومٍ ووالدك العبد

وكقوله تعالى : ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ [المطففين : ٢٧] قيل : هو ماء في الجنة سمي بذلك لأنه يأتيهم من عُلو تتسنَّمُ عليهم من الغرف كما قال الزجاج ، وقال الزهري : أي ماء يتنزل عليهم من معالٍ [لسان العرب (١٢/ ٣٠٦)] بتصرف .

بعد الفرائض ، كما هو قول الإمام أحمد وغيره من العلماء [١] .

وقد كان النبي ﷺ يفزع إلى الصلاة ، ففزع إليها ليلة الأحزاب ، قال حذيفة : رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب ، وهو مشتمل في شملة يصلي ، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى [٢] .

وفزع إليها يوم بدر ، عن علي قال : لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله ﷺ يصلي ويدعو حتى أصبح [٣] .

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٤) ط . دار المعرفة .

(٢) أخرجه أبو عوانة في مسنده (٤/ ٣٢١/ ٦٨٤٢) في غزوة الأحزاب وفيه « ورجعت ـ أي حذيفة ـ إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل بشملة يصلي فوالله ما عدا أن رجعت رجع إليَّ القر ـ أي البرد ـ رجعت أقرقف ـ أرتعد ـ فأومأ رسول الله ﷺ إليَّ بيده وهو يصلي فدنوت منه فأسبل علي شملته وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى ... »

وأخرجه أبو داود مختصرًا (٢/ ٣٥/ ١٣١٩) ، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٨٨/ ٢٣٣٤٧) ، وكذلك البيهقي في الشعب (٣/ ١٥٤/ ٣١٨١)

والحديث حسنه الألباني : في « صحيح الجامع » برقم (٤٧٠٣) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٣٨/ ١١٦١) ، والطيالسي (١/ ١٨/ ١١٦) ، وابن نصر المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (١/ ٢٣١/ ٢١٣) ، واللفظ له ورجاله

=

قال المروزي : فالصلاة مفزع كل مريد عند الشدائد وعند حدوث عظيم النعم شكرًا لله ، فإذا لم تمكن الصلاة بالسجود له عند حوادث النعم ، وذلك لما عرفهم من عظم قدر الصلاة عنده حتى إن الملائكة في السماوات السبع ، إذا رعبوا فأصابهم هول [1] اعتصموا بالسجود ، عن عبد الله قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة [2] كصلصلة السلسلة على الصفوان [3] فيخرون سجدًا ، ثم يرفعون رؤوسهم فيقولون : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ فيقال : قال : ﴿ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ : ٢٣] .

ويفزع إليها كذلك عند تجدد النعم ، فمن ذلك أن الله ﷻ

ثقات .

(١) الهول : المخافة من الأمر لا يدري ما يهجم عليه منه والجمع أهوال .
وهالني الأمر يهولني هولًا : أفزعني [لسان العرب (١١/ ٧١١)] بتصرف .

(٢) الصلصلة : صوت الحديد إذا حُرِّك ، يقال : صلَّ الحديدُ وصلصل .
والصلصلة : أشد من الصليل [مختار الصحاح (١/ ١٥٤)] .

(٣) قال ابن السكيت : الصفا : العريض من الحجارة الأملس جمع صفاة يكتب بالألف فإذا ثني قيل صفوان [لسان العرب (١٤/ ٤٦٤)] .

لما أنعم على نبيه ﷺ بفتح مكة اغتسل وصلى ثمانيَ ركعات شكرًا لله ﷻ [١] .

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : إن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلي حتى تَرِمَ قدماه أو ساقاه . فيقال له ، فيقول : « **أفلا أكون عبدًا شكوراً** » [٢] .

قال القرطبي : ظن من سأله عن سبب تحمل المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفًا من الذنوب وطلبًا للمغفرة والرحمة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك ، فأفادهم أن هناك طريقًا آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة .

قال ابن بطال : في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه لأنه ﷺ إذا فعل ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٩٤/ ١١٢٢) ، ومسلم (١/ ٤٩٧/ ٣٣٦) .
قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : ما حدثنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانئ فإنها قالت « أن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات ، فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود » واللفظ للبخاري .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٨٠/ ١٠٧٨) ، ومسلم (٤/ ٢١٧١/ ٢٨١٩) .

مع علمه بما سبق له ، فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلًا عمن لم يأمن أنه استحق النار ؟

قال الحافظ : ومحل ذلك ما إذا لم يفض إلى الملال ؛ لأن حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال ، فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنه [1] .

١٤- ومن عظم قدر الصلاة أن جميع أعمالها توحيد لله وتعظيم له :

قال المروزي : فلا عمل بعد توحيد الله أفضل من الصلاة لله لأنه افتتحها بالتوحيد ، والتعظيم لله بالتكبير ، ثم الثناء على الله ، وهي قراءة فاتحة الكتاب وهي حمد لله وثناء عليه وتمجيد له ودعاء ، وكذلك التسبيح في الركوع والسجود والتكبيرات عند كل خفض ورفع ، كل ذلك توحيد لله وتعظيم له ، وختمها بالشهادة له بالتوحيد ولرسوله بالرسالة ، وركوعها وسجودها خشوعًا له ، وتواضعًا له ، ورفع اليدين عند الافتتاح والركوع ورفع الرأس تعظيمًا لله وإجلالًا له ووضع اليمين على الشمال

(١) باختصار من الفتح (٣/ ١٥) التهجد .

بالانتصاب لله تذللًا له وإذعانًا بالعبودية [١] .

وقال ابن الجوزي : إن الله ﷻ عظم قدر الصلاة لأنها أوفى خدمة العبد ، والمراد من العبد التعبد ، وهي جامعة بين خضوع بدنه ونطق لسانه وحضور قلبه ، وإن الله تعالى جعل عبادة ملائكته بين سجود وركوع وذكر وذلك مجموع في الصلاة [٢] .

وقال رحمه الله : واعلم أن المقصود بالصلاة إنما هو تعظيم المعبود ولا يكون إلا بحضور القلب في الخدمة ، وقد كان في السلف من يتغير إذا حضرت الصلاة ويقول : « أتدرون بين يدي من أريد أن أقف ، يا هذا إذا صليت والقلب غائب وجوده فالصلاة كالعدم ، هو بالروم مقيم وله بالشام قلب ، يَا ذَاهِلَ القلب في الصلاة حاضر الذهن في الهوى ، جسده في المحراب وقلبه في بلاد الغفلة .

جاء المملوك إلى سيده فقال : ضاعت مخلاة الفرس ، فقام السيد يصلي ، فلما فرغ من الصلاة قال : هي في موضع كذا وكذا ،

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٦٨) .

(٢) التبصرة (٢/ ٢٣١) الحلبي .

فقال الغلام : يا سيدي أعِدْ الصلاة فإنك كنت تفتش عن المخلاة .

قال الحسن : يا ابن آدم إذا هانت عليك صلاتك فما الذي يعز عليك [١] ؟

ولما كان المطلوب حضور القلب جاء الوعد بالثواب الجزيل عليه ، أخبرنا ابن الحصين بسنده عن زيد بن خالد الجهني قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صلى سجدتين لا يسهو فيهما غفر الله له ما تقدم من ذنبه** » [٢] .

١٥ – ولعظم قدر الصلاة أُمروا فيها بالخشوع :

عن ابن سيرين قال : كانوا يرفعون أبصارهم في الصلاة ويلتفتون يمينًا وشمالًا حتى نزلت هذه الآية : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١-٢] ، قال فلم يلتفتوا يمينًا ولا شمالًا .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٤/ ٢١٧٣٧) وقد ورد الحديث موصولًا بلفظ « **من توضأ فأحسن وضوءه ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر الله له ما تقدم من ذنبه** » .
أخرجه أبو داود (١/٢٣٨/٩٠٥) ، وأحمد (٤/١١٧/١٧٠٩٥) . وحسنه الألباني : في « صحيح الجامع » (٦١٦٥) .

قال القرطبي : والخشوع محله القلب فإذا خشع خشعت الجوارح كلها لخشوعه إذ هو مَلِكُها وكان الرجل من العلماء إذا أقام الصلاة وقام إليها يهاب الرحمن أن يمد بصره إلى شيء ، وأن يحدث نفسه بشيء من الدنيا .

وقال عطاء : هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة [١] .

وقال الغزالي : اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله ﷻ ، ومن رُزق ذلك فإنه يكون خاشعًا في الصلاة وفي غير الصلاة ، بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة ، فإن موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ، ومعرفة تقصير العبد ، فمن هذه المعارف يتولد الخشوع .

كان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود : صديقك الأعمى قد جاء ، فكان ابن مسعود يضحك من قولها [٢] اهـ

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ١٠٣) .

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٤٤٩٦) .

قيل لعامر بن قيس : أما تسهو في صلاتك ؟

قال : أوحديث أحبُّ إليَّ من القرآن أشتغل به ؟ هيهات !! مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس [1] .

وكان مسلم بن يسار يصلي يومًا في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة ، وقال بعضهم : الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا .

وكان عبد الله بن الزبير إذا صلى كأنه عود من الخشوع ولقد كان الطير يقف عليه لا يحسبه إلا جذع شجرة .

أَبَـــدًا نفُـــوسُ الطـــالبينَ
إلى طُلُـــــولِكُمُ تَحِـــــنُّ
وكـذا القـلـوبُ بـذِكـرِكـم
بعـــدَ المخافــةِ تطْمَـــئِنُّ

رحم الله أعظمًا طالما نصبت وانتصبت ، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت وثبت ، وإن ذكرت عدله رهبت وهربت ، وإن تصورت فضله فرحت وطربت ، حسبك أن قومًا موتى

---

(١) « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٠٧-٣٠٨) بتصرف .

تحيا بذكرهم النفوس ، وأن قومًا أحياء تقسو برؤيتهم القلوب .

سلام الله على تلك القبور ورضوان الله على حشو تلك اللحود [١] .

١٦ – ولعظم شأن الصلاة وشدة الحاجة إليها افترض الله ﷻ على العبد خمس صلوات في اليوم والليلة :

قال القسطلاني : الحكمة في فرض الصلاة وتخصيصها بالخمس أحدها : أن الأنفس البشرية المقتضية للشهوة والغفلة والسهو والنسيان والشره في العمل والفترة عنه ، اقتضت الحكمة أن تذكر نسيانها ، وتوقظ غفلتها ، وتقمع شهوتها بقطعها عن عاداتها ، ومناجاتها الذي كفلها بنعمه وغذاها بجوده وكرمه ، ولعلمه بضعف قواها لم يجعل هذه العبادة إلا في أوقات يكثر الفراغ فيها من أشغال العادات ، وهذا هو الحكمة في تنقيصها من الخمسين إلى الخمس .

---

(١) بتصرف من « المدهش » لابن الجوزي .

والوجه الثاني : أن العبد في هذه الدار يعمل لنجاته في الأخرى وهي مشتملة على أهوال ومشاق ومتاعب وأمام العبد دونها خمس عقبات :

الأولى : الدنيا وشرورها وآفاتها ومحذوراتها وشواغلها وعلائقها القاطعة عن مريد السعادة .

الثانية : الموت وما يخشى من فتنته وشدة سكراته وما يشاهد عنده من الأمور العظام والآلآء الجسام .

الثالثة : القبر وضيقته ووحشته ، وسؤال منكر ونكير وذلك صعب خطير .

الرابعة : المحشر وهَوْلُهُ وما فيه من الخوف الشديد والفزع الأكيد .

الخامسة : الحساب وما يخشى فيه بَعْدَ العتاب من وقوع العقاب .

فكان فعل الصلوات الخمس مسهلًا لهذه العقبات محصلًا لنيل المسرات في دار الكرامات ، وهي أجل مباني الإسلام بعد الشهادتين ، ومحلها في الدين محل الرأس من الجسد ، فكما أنه

لا حياة لمن لا رأس له ، فكذلك لا دين لمن لا صلاة له [١] .

١٧- ولعظم قدر الصلاة لا تأكل النار آثار السجود من أهلها إذا دخلوها بذنوبهم :

قال المروزي : ومن فضل الصلاة على سائر الأعمال أن من دخل النار من المؤمنين لم يجدوا شيئًا من الأعمال التي عملوها بجوارحهم تمنع شيئًا من أجسادهم من الاحتراق إلا السجود له في الدنيا ، فإن النار لم تُصب مواضع السجود من المصلين خاصة [٢] .

عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « **إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخْرِجَ من النار من أراد أن يرحم ممن كان شهد أن لا إله إلا الله ، أمر الله أن يخرجوهم فيعرفوهم بعلامة آثار السجود ، وحَرَّمَ الله على النار أن تأكل من بني آدم أثر السجود ، فيخرجونهم قد امتحشوا ، فينصب عليه من ماء**

(١) « مراصد الصلاة » للقسطلاني نقلًا عن « موارد الظمآن في دروس الزمان » (١/ ١٣٩-١٤٠) .

(٢) « تعظيم قدر الصلاة » (١/ ٢٩٢) .

يقال له : ماء الحياة ، فينبتون نبات الحِبة في حميل السيل » [1] .

١٨ – ومن عظم قدر الصلاة يتميز المؤمنون عن المنافقين يوم القيامة بالسجود :

قال المروزي : من ذلك أن المنافقين ميزوا يوم القيامة من المؤمنين بالسجود قال الله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ [2] [القلم : ٤٢-٤٣] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٥/ ٢٤٠٣/ ٦٢٠٤) ، ومسلم (١/ ١٦٥/ ١٨١) .

(٢) قال ابن القيم : « .... والصحابة متنازعون في تفسير الآية هل المراد الكشف عن الشدة أو المراد بها أن الرب ـ تعالى ـ يكشف عن ساقه ، ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه وإنما ذكره مجردًا عن الإضافة منكرًا والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه : « **فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدًا** » ومن حمل الآية على ذلك قال : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ [القلم :٤٢] مطابق لقوله : « **فيكشف عن ساقه فيخرون له سجدًا** » وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال : يكشف عن ساق عظيمة جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبيه . قالوا : وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه ، فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال : كشفت الشدة عن القوم لا كشف عنها كما قال الله تعالى :

وذلك أن المؤمنين لما نظروا إلى ربهم خروا له سجدًا ، ودعي المنافقون إلى السجود فأرادوه فلم يستطيعوا ، حيل بينهم وبين ذلك عقوبة لتركهم السجود لله في الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ **وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ** ﴾ يعني في الدنيا ﴿ **وَهُمْ سَٰلِمُونَ** ﴾ [القلم : ٤٣] ، مما حدث في ظهورهم مما حال بينهم وبين السجود .

عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « **هل تضارون في رؤية الشمس**

﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ** ﴾ [الزخرف : ٥٠] ، وقال : ﴿ **وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ** ﴾ [المؤمنون : ٧٥] ، فالعذاب والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه ، وأيضًا فهناك تحدث الشدة وتشتد ولا تزال إلا بدخول الجنة وهناك لا يُدعون إلى السجود وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة [الصواعق المرسلة ١ / ٢٥٢] طبعة العاصمة ـ الرياض .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ** ﴾ لم يقل : يوم يكشف الساق وهذا يبين خطأ من قال المراد بهذه كشف الشدة ، وأن الشدة تسمى ساقًا وأنه لو أريد ذلك لقيل : يوم يكشف عن الشدة ، أو يكشف الشدة وأيضًا فيوم القيامة لا تُكْشَفُ الشدة عن الكفار والرواية في ذلك عن ابن عباس ساقطة الإسناد [الرد على البكري ج:٢ ص:٥٤٢] طبعة الغرباء الأثرية ـ المدينة .

بالظهيرة صحوًا ، ليست في سحاب ؟ قلنا : لا يا رسول الله ! قال : فهل تضارون في رؤية القمر في ليلة البدر صحوًا ، ليس في سحاب ؟ قالوا : لا . قال : ما تضارون في رؤيته يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، وإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : ألا تلحق ـ لعله قال : كل أمة بما كانت تعبد ، فلا يبقى أحدٌ كان يعبد صنمًا ولا وثنًا ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا في النار ، ويبقى من يعبد الله وحده من بر وفاجر ، ثم يبتدئ الله لنا فيقول : هل بينكم وبين الله من آية تعرفونها : فيقولون : نعم فيكشف عن ساق ، فيخروا سجدًا أجمعون ، فلا يبقى أحدٌ كان يسجد في الدنيا سمعة ولا رياءً ولا نفاقًا إلا على ظهره طبق واحدٌ كلما أراد أن يسجد خر على قفاه . قال : ثم بريئنا ومسيئنا فيقول : أنا ربكم ، فيقول : نعم ، أنت ربنا ثلاث مرات ، ثم يضرب الجسر على جهنم » [1] ، وذكر الحديث بطوله

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧١/ ٤٣٠٥) ، ومسلم (١/ ١٦٩/ ١٨٣) .

١٩ – ولعظم قدر الصلاة نُهُوا عن الالتفات فيها :

قال ابن القيم على قول النبي ﷺ في حديث : « **وآمركم بالصلاة فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت** »[١] .

الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان :

أحدهما : التفات القلب عن الله ﷻ إلى غير الله تعالى .

والثاني : التفات البصر .

وكلاهما منهي عنه ، ولا يزال الله مقبلًا على عبده مادام العبد مقبلًا على صلاته ، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه[٢] ، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/١٤٨/٢٨٦٣) ، وأحمد (٤/١٣٠/١٧٢٠٩) ، (٤/ ٢٠٢/ ١٧٨٣٣) ، والطبراني في « الكبير » (٣/ ٢٨٦/ ٣٤٢٧) وفيه « **وأن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت** » ، وصححه الألباني : « صحيح الجامع » برقم (١٧٢٤) .

(٢) وفي معناه حديث أبي ذر مرفوعًا « **لا يزال الله ﷻ مقبلًا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه** » .

أخرجه النسائي (٣/٨/ ١١٩٥) ، وأبو داود (١/ ٢٣٩/ ٩٠٩) ، والدارمي (١/ ٣٩٠/ ١٤٢٣) ،

فقال : « **اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد** »[(١)] ، وعلى أثر ذلك يقول الله ـ تعالى ـ : « **إلى خير مني** »[(٢)] .

ومثال من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السُلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان ؟! يمينًا وشمالًا وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به لأن قلبه ليس حاضرًا معه فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟! أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا قد

والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢٨١/ ٣٣٤٦) ، وأحمد (٥/ ١٧٢/ ٢١٥٤٧) .

وضعفه الألباني ﷺ في « ضعيف الجامع » (٦٣٤٥) ، و« ضعيف النسائي » (٥٧/ ١١٩٥) .

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٦١/ ٧١٨) ، عن عائشة ﷺ قالت : سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال : « **هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد** » .

(٢) جزء من حديث أورده المنذري في « الترغيب والترهيب » (١/ ٢٠٩/ ٧٩٠) ، والهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢/ ٨٠) بلفظ « **إن العبد إذا قام إلى الصلاة فهو بين يدي الرحمن فإذا التفت يقول الله ـ تعالى ـ إلى من تلتفت إلى خير مني أقبل يا ابن آدم فأنا خير ممن تلتفت إليه** » .

وقال الألباني ﷺ : حديث ضعيف جدًا ، « الضعيفة » (٣/ ٩٣/ ١٠٢٤) .

سقط من عينيه ؟!

فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله ـ تعالى ـ في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة الله الذي هو واقف بين يديه ، فامتلأ قلبه من هيبته ، وذلت عنقه له ، واستحيى من ربه ـ تعالى ـ أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه ، وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية : إن الرجلين ليكونا في الصلاة الواحدة وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض [١] .

٢٠ - ولعظم قدر الصلاة قال النبي ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » [٢] .

قال الأستاذ عبد الله ناصح علوان : حتى يتعلم الولد أحكام هذه العبادات منذ نشأته ويعتاد أداءها والقيام بها منذ نعومة

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٧١) ط . دار الكتاب العربي بيروت .

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ١٣٣/ ٤٩٥) ، والبيهقي في الكبري (٢/ ٢٢٨/ ٣٠٥٠) ، والحاكم في مستدركه (١/ ٣١١/ ٧٠٨) ، والدارقطني في سننه (١/ ٢٣٠/ ٣) ، وحسنه الألباني رحمه الله : في « صحيح الجامع » برقم (٥٨٦٨) .

أظفاره وحتى يتربى كذلك على طاعة الله والقيام بحقه والشكر له والالتجاء إليه والثقة به والاعتماد عليه ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع ، وحتى يجد في هذه العبادات أيضًا الطهر لروحه ، والصحة لجسمه ، والتهذيب لخلقه ، والإصلاح لأقواله وأفعاله [١] .

قال الهيتمي : وقال الخطابي : هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة لتارك الصلاة إذا بلغ تاركًا لها ، وكان بعض أصحاب الشافعي يحتج به في وجوب قتله ، ويقول : إذا استحق الضرب وهو غير بالغ ، فيدل على أنه بعد البلوغ يستحق من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب ، وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل .انتهى . ثم عقب عليه فقال : وفيه ما فيه ، ومما وجه به قتله : أن تاركها جنى على جميع الأنبياء والملائكة والمؤمنين ، لأنه يجب عليه في التشهد أن

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/ ١٤٩) ط . دار السلام .

وقال أحمد وإسحاق : ما ترك الغلام بعد العشر من الصلاة فإنه يعيد .

يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال ﷺ : « **إذا قالها بلغت كل عبد صالح في السماء والأرض** » ، وهذه الجناية العامة لا يليق بها إلا القتل ، والأولى أن يستدل لقتله بالأحاديث الصحيحة السابقة أن تاركها تبرأ منه ذمة الله وذمة رسوله ﷺ [1] ، وأنه لا عهد له ، لأن ذلك ظاهر أو صريح في إهدار دمه ، ومن لازم إهداره وجوب قتله ، وإنما لم يقتل بترك الزكاة لأنه يمكن أخذها منه بالمقاتلة [2] .

٢١- ومما يدل على عظم قدر الصلاة تسمية الله ﷻ للصلاة إيمانًا : فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

---

(١) يشير إلى حديث أبي الدرداء قال : أوصاني خليلي ﷺ وفيه « .... **ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة** ... » .
أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١/ ٢١/ ١٨) ، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٩/ ٤٠٣٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥/ ١١/ ٥٥٨٩) ، واللالكائي في « الاعتقاد » (٤/ ٨٢٣/ ١٥٢٤) من طرق عن راشد بن نجيح عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٣٣٩) .
(٢) « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (١٨٠) ط . الشعب .

عن ابن عباس قال : لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا : كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك ؟ فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ فسمى الله ﷻ صلاة من صلى إلى البيت المقدس ومات قبل تحويل القبلة إيمانًا »[1] وبوب البخاري في كتاب الإيمان (باب الصلاة من الإيمان) وقول الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ يعني صلاتكم عند البيت .

٢٢- ولعظم الصلاة قال النبي ﷺ : « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »[2] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٠/ ٤٦٨٠) ، والترمذي (٥/ ٢٠٨/ ٢٩٦٤) ، وأحمد (١/ ٢٤٧/ ٣٢٤٩) ، وابن حبان (٤/ ٦٢٢/ ١٧١٧) ، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٩٥/ ٣٠٦٣) ، والدارمي (١/ ٣٠٨/ ١٢٣٥) وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٩٨) ، والألباني رحمه الله : في « صحيح الترمذي » (٣/ ٢٣/ ٢٣٦٥) .
وللحديث شاهد من حديث البراء بن عازب عند البخاري (١/ ٢٣/ ٤٠) بلفظ أنه مات على القبلة قبل أن تُحَوَّل رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣/ ٥٢٧) ، ومسلم (١/ ٤٣٥/ ٦٢٦) ، المراد بقوله : « **وتر أهله وماله** » أي : أنه حصل له من النقصان في الأجر في الآخرة ما لو وزن بنقص الدنيا لما وازنه إلا نقصان من نقص أهله وماله والله أعلم .

والمراد بالفوات تأخيرها عن وقت الجواز بغير عذر .

قال الحافظ : قال الجوهري : الموتور هو الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه ، وقيل : الموتور من أُخذ أهله أو ماله وهو ينظر إليه وذلك أشد لغمه ، فوقع التشبيه بذلك لمن فاتته الصلاة ، لأنه يجتمع عليه غمان : غمّ الإثم ، وغم فقد الثواب كما يجتمع على الموتور غمان : غم السلب ، وغم الطلب بالثأر ، وقيل وتر : أخذ أهله وماله فصار وترًا أي فردًا [(١)] ، وقال ﷺ : « **من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله** » [(٢)] .

قال الحافظ : وقد استدل بهذا الحديث من يقول بتكفير أهل المعاصي من الخوارج وغيرهم وقالوا : هو نظير قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ** ﴾ [المائدة : ٥] .

وقال ابن عبد البر : مفهوم الآية أن من لم يكفر بالإيمان لم

---

(١) باختصار من الفتح (٢/ ٣٠) وقال : ظاهر الحديث التغليظ على من تفوته العصر وأن ذلك مختص بها ، وقال ابن عبد البر : يحتمل أن يكون هذا الحديث خرج جوابًا لسائل سأل عن صلاة العصر فأجيب فلا يمنع ذلك إلحاق غيرها من الصلوات ، وتعقبه النووي أنه إنما يلحق غير المنصوص بالمنصوص إذا عرفت العلة واشتركا فيها قال : والعلة في هذا الحكم لم تتحقق فلا يلتحق غير العصر بها . اهـ

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣/ ٥٢٨) .

يحبط عمله ، فيتعارض مفهومها ومنطوق الحديث ، فيتعين تأويل الحديث لأن الجمع إذا أمكن كان أولى من الترجيح وتمسك بظاهر الحديث أيضًا الحنابلة ومن قال بقولهم من أن تارك الصلاة يكفر ، وجوابهم ما تقدم ، وأيضًا فلو كان على ما ذهبوا إليه لما اختصت العصر بذلك .

وأما الجمهور فتأولوا الحديث فافترقوا على تأويله فرقًا : فمنهم من أول سبب الترك ، ونهم من أول الحبط ، ومنهم من أول العمل فقيل : من تركها جاحدًا لوجوبها ، أو معترفًا لكن مستخفًا مستهزئًا بمن أقامها ، وقيل : المراد من تركها متكاسلًا لكن خرج الوعيد مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد كقوله : « **لا يزني الزاني وهو مؤمن** » وقيل : هو من مجاز التشبيه كأن المعنى فقد أشبه من حبط عمله وقيل معناه : كاد أن يحبط ، وقيل : المراد بالحبط نقصان العمل في ذلك الوقت الذي ترفع فيه الأعمال إلى الله .

وقال أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي : الحبط على قسمين : حبط إسقاط وهو إحباط الكفر للإيمان وجميع

الحسنات ، وحبط موازنة وهو إحباط المعاصي للانتفاع بالحسنات عند رجحانها عليها إلى أن تحصل النجاة فيرجع إليه جزاء حسناته .

وقيل : المراد بالعمل في الحديث عمل الدنيا الذي يسبب الاشتغال به ترك الصلاة ، بمعنى أنه لا ينتفع به ولا يتمتع .

قال : وأقرب هذه التأويلات قول من قال : ذلك خرج مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد والله أعلم [١] .

٢٣- ومن عظم قدر الصلاة أنها اشتملت على جل أنواع العبادات :

قال الشيخ حافظ بن أحمد : اعلم ـ هدانا الله وإياك ـ أن الصلاة قد اشتملت على جلّ أنواع العبادة من الاعتقاد بالقلب ، والانقياد والإخلاص والمحبة والخشوع والخضوع والمشاهدة والمراقبة والإقبال على الله ﷻ وإسلام الوجه له والصمود إليه والإطِّراح بين يديه .

وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن

---

(١) باختصار من « فتح الباري » (٢/ ٣٢, ٣٣) مواقيت الصلاة .

والتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد والتهليل والتكبير والأدعية والتعوذ والاستغفار والاستعاذة والاستعانة والافتقار إلى الله تعالى والثناء عليه والاعتذار من الذنب إليه والإقرار بالنعم له وسائر أنواع الذكر .

وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام والاعتدال والخفض والرفع وغير ذلك .

هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل ، منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر الأنجاس ، وإسباغ الوضوء على المكاره ، ونقل الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، مما لم يجتمع في غيرها من العبادات [1] .

٢٤ – ولعظم قدر الصلاة أمر الله ﷻ بالمحافظة عليها :

فقال تعالى : ﴿ **حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

---

(١) معارج القبول (٢/ ٤٩) ط. السلفية .

قال القرطبي : قوله تعالى ﴿ حَـٰفِظُوا ﴾ خطاب لجميع الأمة ، والآية أمر بالمحافظة على إقامة الصلوات في أوقاتها بجميع شروطها ، والمحافظة هي المداومة على الشيء والمواظبة عليه .

قال الشيخ محمد رشيد رضا : قال بعض المفسرين في وجه اختيار لفظ المحافظة على الحفظ وهي هنا بين العبد وربه ، كأنه قيل : احفظ الصلاة يحفظك الله الذي أمرك بها كقوله : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] ، أو بين المصلي والصلاة نفسها ، أي : احفظوها تحفظكم من الفحشاء والمنكر بتنزيه نفوسكم عنها ، ومن البلاء والمحن بتقوية نفوسكم عليها ، وكما قال ﴿ وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة : ٤٥] .

إلى أن قال : وحفظ الصلاة المرة بعد المرة على الاستمرار عبارة عن الإتيان بها كل مرة كاملة الشرائط والأركان العملية ، كاملة الآداب والمعاني القلبية ، فالشيء الذي يتعاهد بالحفظ دائمًا هو الذي لا يلحقه النقص ، وإن لم يكن محفوظًا .

قوله : ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ .

قال القرطبي : واختلف الناس في تعيين الصلاة الوسطى على عشرة أقوال ورجح بعد أن ذكرها أنها مبهمة ، وأن الله ﷻ خبأها في الصلوات كما خبأ ليلة القدر في رمضان ، وكما خبأ ساعة يوم الجمعة وساعات الليل المستجاب فيه الدعاء ليقوموا بالليل في الظلمات لمناجاة عالم الخفيات ، ومما يدل على صحة أنها مبهمة غير معينة ما رواه مسلم في صحيحه [(١)] في آخر الباب عن البراء بن عازب قال نزلت هذه الآية : [حافظوا على الصلوات وصلاة العصر] فقرأناها ما شاء الله ثم نسخها الله فنزلت ﴿حَـٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ فقال رجل : هي إذًا صلاة العصر ؟ فقال البراء : قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله ـ تعالى ـ .

قال : فلزم من هذا أنها بعد أن عينت نُسخ تعيينها وأبهمت ، فارتفع التعيين والله أعلم ، وهذا اختيار مسلم لأنه أتى به في آخر

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٣٧/ ٦٢٩) .

الباب ، وقال به غير واحد من العلماء المتأخرين وهو الصحيح ـ إن شاء الله تعالى ـ لتعارض الأدلة وعدم الترجيح ، فلم يبق إلا المحافظة على جميعها وأدائها في أوقاتها والله أعلم (١) .

قوله : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] :

قال ابن كثير : أي : خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه ، وهذا الأمر مستلزم ترك الكلام في الصلاة لمنافاته إياها ،ولهذا لما امتنع النبي ﷺ من الرد على ابن مسعود حين سلم عليه وهو في الصلاة اعتذر إليه بذلك وقال : « **إِنَّ فِي الصَّلَاةِ لشغلًا** » (٢) .

وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال لمعاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة : « **إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء**

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٢١٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٠٢/ ١١٤١) ، ومسلم (١/ ٣٨٢/ ٥٣٨) ، بلفظ : « كنا نسلم على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال : « **إن في الصلاة لشغلًا** » .

ومعناه : أي شغلًا بقراءة القرآن والذكر والدعاء ولأنها مناجاة مع الله تستدعي الاستغراق بخدمته فلا يصلح فيها الاشتغال بغيره « فتح الباري » بتصرف يسير .

من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وذكر الله » [(١)] .

٢٥- ومما يدل على عظم قدر الصلاة ما ورد من أحاديث وآثار في فضل السجود :

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة** » [(٢)] ، وعنه ﷺ قال : « إن

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٨١/ ٥٣٧) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٣/ ٤٨٨) ، وفي رواية « **عليك بكثرة السجود لله** » .
قال الشوكاني : في « نيل الأوطار » (٣/ ٩١) : يدل على أن كثرة السجود مرغب فيها والمراد به السجود في الصلاة وسبب الحث عليه ما تقدم في الحديث الذي بعد هذا أن أقرب ما سكون العبد من ربه وهو ساجد وهو موافق لقوله تعالى : ﴿ **وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب** ﴾ [العلق : ١٩] كذا قال النووي وفيه دليل لمن يقول إن السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة ، وفي هذه المسألة مذاهب : أحدها : أن تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل ، حكاه الترمذي والبغوي عن جماعة وممن قال بذلك ابن عمر ، والمذهب الثاني : أن تطويل القيام أفضل لحديث جابر الآتي وإلى ذلك ذهب الشافعي وجماعة وهو الحق ـ كما سيأتي ـ ، والمذهب الثالث : أنهما سواء وتوقف أحمد بن حنبل في المسألة ولم يقض فيها بشيء ، وقال إسحاق بن راهوية أما في النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل وأما في الليل فتطويل القيام إلا أن يكون للرجل جزء بالليل يأتي عليه فتكثير الركوع والسجود أفضل لأنه يقرأ جزأه ويربح
=

أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجدًا فأكثروا الدعاء عند ذلك »[(١)].

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي ، يقول : ياويله ،

كثرة الركوع والسجود ، قال ابن عدي : إنما قال إسحاق هذا لأنهم وصفوا صلاة النبي ﷺ بالليل بطول القيام ، ولم يوصف من تطويله بالنهار ما وصف من تطويله بالليل .

قال ابن حزم في « المحلى » (٥/ ١١٢) مخالفًا للشوكاني وغيره : وليس لأحد أن يقول إن هذا السجود إنما هو سجود الصلاة خاصة ومن أقدم على هذا فقد قال على رسول الله ﷺ ما لم يقله بل كذب عليه إذ أخبر عن مراده بالغيب والظن الكاذب وقد روينا عن أبي بكر الصديق أنه لما جاءه فتح اليمامة سجد .

وعن علي بن أبي طالب أنه لما وجد ذو الثدية في القتلى سجد إذ عرف أنه في الحزب المبطل وأنه هو المحق .

وصح عن كعب بن مالك في حديث تخلفه عن تبوك أنه لما تيب عليه سجد .

ولا مخالف لهؤلاء من الصحابة أصلًا ولا مغمز في خبر كعب البتة .

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٠/ ٤٨٢) .

وقوله : « فأكثروا الدعاء » أي في السجود لأنها حالة غاية التذلل وإذا عرف العبد نفسه بالذلة والافتقار عرف أن ربه هو العلّي الكبير المتكبر الجبار فالسجود لذلك مظنة الإجابة ومن ثم حث على الدعاء فيه بقوله « فأكثروا ... » « فيض القدير » للمناوي (٢/ ٦٨) ط . المكتبة التجارية ـ مصر .

أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار »[(١)] .

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت عند رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي : « **سل** » . فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : « **أو غير ذلك** » ، قلت : هو ذاك ، فقال : « **فَأَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود** »[(٢)] .

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٧/ ٨١) ، وفي رواية : « **يا ويلي** » ، وأحمد (٢/ ٤٤٣) .

قال البيهقي في « شعب الإيمان » (١/ ١٨٠) : ومعلوم أن ابن آدم إنما أمر بالسجود لله ﷻ لا لغيره فدل ذلك على أن السجود الذي أمر به الشيطان من جنس ما أمر به ابن أدم وهو السجود لله ﷻ ولكن عند خلق آدم إعظامًا لقدرة الله ﷻ الذي أظهرها لهم بخلقه إياه .

وقال : وإن كان السجود من الملائكة لآدم ﵇ فقد يحتمل أن ذلك إنما كان عقوبة لهم على قولهم لله ﷻ : ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ** ﴾ [البقرة : ٣٠] .

فوجد الكرامة له فيه وليس يخلص من عرض العقوبة لهم . اهـ

والسجدة : أي آية السجدة .

« **يا ويله** » : هو من آداب الكلام وهو أنه إذا عرض في الحكاية عن الغير ما فيه سوء حوَّل الضمير عن التكلم عن الغيبة تصاونًا عن إضافة السوء إلى نفسه .

وانظر « الديباج على صحيح مسلم » (١/ ٦٩) بتحقيق الحويني ـ حفظه الله ـ .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٣/ ٤٨٩) .

٢٦ – ولعظم قدر الصلاة كانت قرة عين رسول الله ﷺ :

قال المروزي : ولو لم يستدل المؤمن على أن الصلاة أحب الأعمال إلى الله إلا بها ألزم قلب حبيبه المصطفى محمد ﷺ من حب الصلاة وجعل قرة عينه فيها دون سائر الأعمال كلها ، وإن كان محبًا لجميع الطاعات ، ولكنه خص الصلاة فأخبر أن قرة عينه جعل في الصلاة لربه لكفاه بذلك دليلًا [(١)] .

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما حبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة** » [(٢)] .

قال السندي في حاشيته على النسائي : قوله « **حبب إليَّ من الدنيا النساء** » قيل : إنما حبب إليه النساء لينقلن عنه ما لا يطلع عليه الرجال من أحواله ويستحي من ذكره ، وقيل : حبب إليه زيادة في الابتلاء في حقه حتى لا يلهو بمن حبب

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٣١) .

(٢) أخرجه النسائي (٧/ ٦١/ ٣٩٣٩) ، وأحمد (٣/ ٢٨٥/ ١٤٠٦٩) .

قال ابن حجر . إسناده حسن « التلخيص » (٣/ ١١٦) .

قال الألباني : حسن صحيح « صحيح النسائي » (٣/ ٥٧/ ٣٩٤٩) و « صحيح الجامع » برقم (٣١٢٤) .

إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة فيكون ذلك أكثر لمشاقه وأعظم لأجره ، وقيل : غير ذلك ، وأما « **الطيب** » فكأنه يحبه لكونه يناجي الملائكة ، وهم يحبون الطيب وأيضًا فهذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج وكمال الخلقة ، وهو ﷺ أشد اعتدالًا من حيث المزاج وأكمل خلقة ، وقوله « **قرة عيني في الصلاة** » إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب ـ تبارك وتعالى ـ ، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه ـ تعالى ـ حتى أنه بمناجاته تقر عينه ، وليس له قريرة العين فيما سواه ، فمحبته الحقيقية ليست إلا لخالقه ـ تبارك وتعالى ـ ، كما قال : « **لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن** » [1] أو كما قال ، وفيه إشارة إلى أن محبة النساء والطيب إذا لم يكن مخلًا لأداء حقوق العبودية بل للانقطاع إليه ـ تعالى ـ يكون من الكمال ، و إلا

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٥٥/ ٢٣٨٣) ، بلفظ : « لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلًا » .

وقد أخرج البخاري هذا الحديث (٣/ ١٣٣٨/ ٣٤٥٦) عن ابن عباس بنحوه وليس فيه « وقد اتخذ الله صاحبكم خليلًا » .

يكون من النقصان فليتأمل [١] .

وقال السيوطي : قال الموفق عبد اللطيف البغدادي : لما كانت الصلاة جامعة لفضائل الدنيا والآخرة خَصَّهَا بزيادة صفة ، وقدم الطيب لإصلاحه النفس ، وثنى بالنساء لإماطة أذى النفس بهن ، وثلث بالصلاة لكونها تحصُل حينئذ صافية من الشوائب خالصة عن الشواغل [٢] .

٢٧- ومن عظم قدر الصلاة كونها صلة بين العبد وربه ومناجاة بين العبد وربه ﷻ :

قال العثيمين : : أيها المسلمون إن الصلاة صلة بينكم وبين ربكم فالمصلي إذا قام في صلاته استقبله الله بوجهه فإذا قرأ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله تعالى : « **حمدني عبدي** » ، وإذا قرأ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله : « **أثنى علي عبدي** » ، فإذا قرأ ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال الله : « **مجدني عبدي** » ، وإذا قرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال

---

(١) هامش (٧/ ٦١-٦٢) سنن النسائي .

(٢) شرح السيوطي للسنن هامش (٧/ ٦٤-٦٥) النسائي .

الله : « **هذا بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل** » ، فإذا قرأ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال الله تعالى : « **هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** » أفتجد أيها المسلم صلة أقوى من تلك الصلة يجيبك ربك على قراءتك آية آية ، وهو فوق عرشه ، وأنت في أرضه عناية بصلاتك وتحقيقًا لصلاتك ، ولهذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر إذا صلاها على الوجه الذي أمر به لأنه اصطبغ بتلك الصلة التي حصلت له مع ربه فقوي إيمانه واستنار قلبه وتهذبت أخلاقه [1] .

وقال ابن القيم ما ملخصه : إذا وقف في الصلاة صاحب القلب العامر بمحبة الله وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه وقف بقلب مخبت خاشع له قريب منه سليم من معارضات السوء ، قد امتلأت أرجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان ، وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات ، فيرتع في رياض معاني القرآن ، وخالط قلبه بشاشة الإيمان

---

(١) « الضياء اللامع » (٢/ ٣٩٢) قرطبة .

بحقائق الأسماء والصفات وعلوها وجلالها الأعظم ، وتفرد الرب ـ سبحانه ـ بنعوت جلاله وصفات كماله .

فاجتمع همه على الله ، وقرت عينه به ، وأحس بقربه من الله قربًا لا نظير له ، ففرغ قلبه له وأقبل عليه بكليته ، وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه ، فإنه سبحانه أقبل عليه أولًا فجذب قلبه بإقباله ، فلما أقبل على ربه حظي منه بإقبال آخر أتم من الأول .

وههنا عجيبة من عجائب الأسماء والصفات تحصل لمن تفقه قلبه في معاني القرآن ، وخالط بشاشة الإيمان بها قلبه بحيث يرى لكل اسم وصفة موضعًا من صلاته ومحلًا منها ، فإذا انتصب قائمًا بين يدي الرب ـ تبارك وتعالى ـ شاهد بقلبه قيوميته ، وإذا قال : الله أكبر ، شهد كبرياءه .

وإذا قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد أوى إلى ركنه الشديد ، واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذي يريد أن يقطعه عن ربه ويباعده عن قربه ، ليكون أسوأ حالًا .

فإذا قال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله : « حمدني عبدي » ، فإذا

قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ انتظر الجواب بقوله : « أثنى علي عبدي » ، فإذا قال : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ انتظر الجواب بقوله « مجدني عبدي » [(١)] .

٢٨- ولعظم قدر الصلاة وارتفاع شأنها كانت آخر وصية رسول الله ﷺ :

قال المروزي رحمه الله : ثم لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه وصار إلى الحال التي انكسر فيها لسانه لم يكن له وصية أكثر من الصلاة [(٢)] .

عن أنس بن مالك قال : كانت آخر وصية رسول الله ﷺ وهو يغرغر بها لسانه : « **الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم** » [(٣)] .

---

(١) نقلًا عن « موارد الظمآن لدروس الزمان » (١/ ١٤٢/ ١٤٣) .

(٢) « تعظم قدر الصلاة » (١/ ٣٣٢) .

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٢٥٨/ ٧٠٩٥) ، وابن حبان (١٤/ ٥٧٢/ ٦٦٠٥) ، عن أنس قال : « كان آخر وصية رسول الله ﷺ وهو يغرغر بها صدره وما كان يفيض بها لسانه ... وذكر الحديث ».
انظر « صحيح الجامع » ، « الإرواء » (٧/ ٢٣٧-٢٣٨) للألباني - عليه رحمة الله - (٤٦١٦) ، .

٢٩- ولعظم قدر الصلاة أوصى إمام أهل السنة [١] المسلمين بهذه الوصية الجامعة :

قال : قد جاء في الحديث : « **لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة** » [٢] ، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق : إن أهم أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها فقد حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة [٣] ، قال فكل مستخفٍّ بالصلاة مستهين بها فهو مستخفٌّ بالإسلام مستهينٌ به ، وإنما حظكم من الإسلام على قدر حظكم من الصلاة ، ورغبتكم في الإسلام على قدر رغبتكم في الصلاة فاعرف نفسك يا عبد الله ، واحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك ، فإن

---

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل .

(٢) أخرجه مالك في « الموطأ » (١/ ٣٩/ ٥١) ، وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه مالك في « الموطأ » (١/ ٦) .

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٢/ ٢٨١) ط . دار الوعي : « وأما قول عمر : لا حظ في الإسلام ، فالحظ : النصيب ، يقول : لا نصيب في الإسلام ، وقوله يحتمل وجهين : أحدهما خروجه من الإسلام بذلك ، والآخر : أنه لا كبير حظ له في الإسلام » اهـ .

قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك .

وقد جاء الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « **الصلاة عمود الدين** » [(١)] ، ألست تعلم أن الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطنب ولا بالأوتاد ؟ وإذا قام عمود الفسطاط انتفع بالطنب والأوتاد ؟ فكذلك الصلاة من الإسلام ، وجاء الحديث : « **إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله صلاته** » [(٢)] ، فإذا تقبلت صلاته تقبل منه سائر عمله فصلاتنا هي آخر ديننا وهي أول ما نُسْأل عنه غدًا من أعمالنا يوم القيامة فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين ، فإذا كانت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام ، والصلاة هي أول فروض الإسلام بعد الشهادتين ، وهي آخر ما يفقد من الدين ، فهي أول الإسلام وآخره ، فإذا ذهب أوله وآخره فقد ذهب جميعه ، وقد أصبح الناس في نقص عظيم شديد من

---

(١) ذكره علاء الدين الهندي صاحب « كنز العمال » (١٨٨٩٠) ، وضعفه الألباني « ضعيف الجامع » (٣٥٦٧) .

(٢) تقدم تخريجه .

دينهم عامة ومن صلاتهم خاصة ، فاتقوا الله ـ عباد الله ـ في أمور دينكم عامة وفي صلاتكم خاصة ، وانصحوا فيها إخوانكم فإنها آخر دينكم فتمسكوا بآخر دينكم [١] .

٣٠- ولعظم شأن الصلاة وارتفاع قدرها يحاول الشيطان أن يقطع ابن آدم عنها ويحول بينه وبين استحضار الخشوع والمراقبة فيها :

قال ابن القيم رحمه الله : والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان [٢] منه فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان وأشده عليه فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهادات أن لا يقيمه فيه بل لا يزال يعده ويمنيه وينسيه ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتهاون بها فيتركها فإن عجز عن ذلك منه وعصاه العبد وقام في ذل المقام

---

(١) رسالة الإمام أحمد (٣٧٣-٣٧٥) باختصار نقلًا عن « تحذير الأمة عن التهاون بصلاة الجماعة والجمعة » لعبد العزيز بن عبد الرحمن الشندي .

(٢) لحديث أبي هريرة مرفوعًا « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويله » وفي رواية : « يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت » وفي رواية : « فعصيت فلي النار » . وقد سبق تخريجه .

أقبل عدو الله حتى يخطر بينه وبين نفسه ويحول بينه وبين قلبه فيذكره في الصلاة ما لم يذكر قبل دخوله فيها ، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة وأيس منها فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه به ويأخذه عن الله ﷻ فيقوم فيها بلا قلب ، فلا ينال من إقبال الله ـ تعالى ـ عليه وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه ﷻ الحاضر القلب في صلاته ، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تخفَّ عنه بالصلاة .

فالصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها وأكمل خشوعها ، ووقف بين يدي الله ـ تعالى ـ بقلبه وقالبه ، فهذا إذا انصرف منها وجد خفة في نفسه ، وأحس بأثقال وضعت عنه ، فوجد نشاطًا وراحة وروحًا حتى إنه يتمنى أنه لم يخرج منها ، لأنها قرة عينه ، ونعيم روحه ، وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها .

٣١ـ ولعظم قدر الصلاة شرع إقامة الصلوات الخمس في

جماعة واختلف العلماء في الوجوب وعدمه :

قال ابن القيم رحمه الله : وأما المسألة السادسة وهي هل تصح صلاة من صلى وحده وهو يقدر على الصلاة جماعة أو لا ؟

فهذه المسألة مبنية على أصلين :

أحدهما : أن صلاة الجماعة فرض أم سنة ؟ وإذا قلنا هي فرض ، فهل هي شرط لصحة الصلاة أو تصح بدونها مع عصيان تاركها ؟ فهاتان مسألتان :

أما المسألة الأولى فاختلف الفقهاء فيها ، فقال بوجوبها عطاء بن أبي رباح والحسن البصري وأبو عمرو الأوزاعي وأبو ثور والإمام أحمد في ظاهر مذهبه ، ونص عليه الشافعي في مختصر المزني فقال : وأما الجماعة فلا أرخص في تركها إلا من عذر ، وقال ابن المنذر في كتاب الأوسط : ذكر حضور الجماعة على العميان وإن بعدت منازلهم عن المسجد .

ويدل على ذلك أن شهود الجماعة فرض لا ندب .

وقالت الحنفية والمالكية هي سنة مؤكدة ولكنهم يؤثمون

تارك السنن المؤكدة ويصححون الصلاة بدونها ، والخلاف بينهم وبين من قال إنها واجبة لفظي ، وكذلك صرح بعضهم بالوجوب [(١)] . ا.هـ

وبوب البخاري في صحيحه « باب وجوب صلاة الجماعة » وقال الحسن : إن منعته أمه عن العشاء في الجماعة شفقةً عليه لم يُطِعْها ، ثم أورده بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلًا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم ، والذي نفسي يده لو يعلم أحدهم أنه يجد عِرْقًا سمينًا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء** » [(٢)] .

---

(١) « الصلاة » لابن القيم باختصار (٦٠ , ٦١) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٣١/ ٦١٨) ، (٦/ ٢٦٤/ ٦٧٩٧) ، ومسلم (١/ ٤٥١/ ٦٥١) .

والعرق : المراد به بضعةُ اللحم السمين على عظمة ، و المرماتان : قيل : هما السهمان وقيل : هما حديدتان من حدائد كانوا يلعبون بها وهي ملس كالأسنة . قال أبو عبيد : يقال : إن المرماتين ظلفا الشاة .

وهو توبيخ لمن رغب عن فضل شهود الجماعة للصلاة مع أنه لو طمع في إدراك يسير =

قال الحافظ : هكذا بت الحكم في هذه المسألة وكأن ذلك لقوة الدليل عنده لكن أطلق الوجوب ، وهو أعم من كونه وجوب عين أو كفاية ، إلا أن الأثر الذي ذكره عن الحسن يشعر بكونه يريد أنه وجوب عين .

وإلى القول بأنها فرض عين ذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وجماعة من محدثي الشافعية كأبي ثور وابن خزيمة وابن المنذر وابن

من عرض الدنيا لبادر إليه ولو نودي إلى ذلك لأسرع الإجابة إليه وهو يسمع منادي الله فلا يجيبه . اهـ. بتصرف يسير .

تنبيه : من أصرح الأدلة على الوجوب ما رواه مسلم (١/ ٤٥٢/ ٦٥٣) ، عن أبي هريرة قال : أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال : « **هل تسمع النداء بالصلاة ؟** » ، فقال : نعم ، قال : « **فأجب** » .

وما رواه مسلم (١/ ٤٥٣/ ٦٥٤) ، عن عبد الله بن مسعود قال : من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف .

حبان ، وبالغ داود ومن تبعه فجعلها شرطًا في صحة الصلاة ، قال : ولما كان الوجوب قد ينفك عن الشرطية قال أحمد : إنها واجبة غير شرط انتهى ، وظاهر نص الشافعي أنها فرض كفاية وعليه جمهور المتقدمين من أصحابه ، وقال به كثير من الحنفية والمالكية ، والمشهور عند الباقين أنها سنة مؤكدة [١] . ا.هـ

وعلى أي من هذه الأقوال من كونها شرطًا لصحة الصلاة أو واجبة وجوبًا عينيًا وليست شرطًا ، أو فرض كفاية أو سنة مؤكدة كما هي مذاهب العلماء فلا يختلف في مشروعيتها واستحبابها وأهميتها ، كما وردت الأدلة كذلك في بيان فضلها على صلاة الفرد فمن ذلك ما رواه عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة** » [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا**

---

(١) باختصار من الفتح (٢/ ١٢٥/ ١٢٦) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٣١/ ٦١٩) ، ومسلم (١/ ٤٥٠/ ٦٥٠) .

« **والفذ** » : الفرد ، والجمع أفذاذ وفُذوذ ، ويقال : فذ الرجل من أصحابه إذا بقي منفردًا وحده .

وعشرين ضعفًا وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخطُ خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه : اللهم صَلِّ عليه اللهم ارحمه ، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة » [١] .

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٢/ ٦٢٠) ، ومسلم (١/ ٤٥٩/ ٦٤٨) .

فصل في علاج حضور القلب واستحضار عظمة الرب والخشوع في الصلاة

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه : ١٤] ، وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفل في جميع صلاته ، كيف يكون مقيمًا للصلاة لذكره ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [1] [الأعراف : ٢٠٥] ، نهي وظاهره التحريم ، وقال ﷻ : ﴿ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء :٤٢] ، تعليل لنهي السكران عن الصلاة ، لأنه لا يدري ما يجري على لسانه ، وقريب منه الغافل المستغرق الهم في الوساوس وأحكام الدنيا حتى لا يدري كم صلى وبماذا قرأ .

وقال تعالى : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١-٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ

---

(١) قال الطبري في تفسيره (٩/ ١٦٧) : ولا تكن من اللاهين إذا قرئ القرآن عن عظاته وعبره وما فيه من عجائبه ، ولكن تَدبر ذلك وتَفهمه وأشعِرهُ قلبك بذكر الله وخضوع له وخوف من قدرة الله عليك إن أنت غفلت عن ذلك .

قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] أي : خاشعين .

وقال ﷺ : « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » (١) .

وقال ﷺ : « من صلى سجدتين لا يسهو فيهما غفر الله له ما تقدم من ذنبه » (٢) .

وعن أنس أن النبي ﷺ قال : « أيها الناس إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإنه مناجٍ ربه فيما بينه وبين القبلة » (٣) .

وعن أبي هريرة قال : « الصلاة قربان ، إنما مثل الصلاة كمثل رجل أراد من إمام حاجة فأهدى له هدية ، إذا قام الرجل إلى الصلاة فإنه في مقام عظيم واقف فيه على الله

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٦/ ٢٢٨) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٩٥/ ٣٩٧) ، (١/ ١٦١/ ٤٠٧) ، بلفظ : أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه فقام فحكه بيده فقال : « إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدميه ... » الحديث .

يناجيه ، ويترضاه قائمًا بين يدي الرحمن يسمع لقيله ، ويرى عمله ، ويعلم ما يوسوس به نفسه ، فليقبل على الله بقلبه وجسده ، ثم ليرم ببصره قصد وجهه خاشعًا أو ليخفضه فهو أقل لسهوه ، ولا يتلفت ، ولا يحرك شيئًا بيده ولا برجليه ، ولا شيئًا من جوارحه ، حتى يفرغ من صلاته ، وليبشر من فعل هذا ولا قوة إلا بالله » (١) .

وعن الحسن قال : إذا قمت إلى الصلاة فقم قانتًا كما أمرك الله ، وإياك والسهو والالتفات أن ينظر الله إليك وتنظر إلى غيره ، تسأل الله الجنة وتعوذ به من النار وقلبك ساه ، ولا تدري ما تقول بلسانك (٢) .

وعن ابن سيرين قال : كان يستحبون أن ينظر الرجل في صلاته إلى موضع سجوده (٣) .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١/ ٣٨١/ ١٠٧٦) ، وابن نصر في « تعظيم قدر الصلاة » (١/ ١٨٥/ ١٣٣) .

(٢) أخرجه ابن نصر في « تعظيم قدر الصلاة » (١/ ١٨٩/ ١٤٠) .

(٣) السابق (١/ ١٩٢/ ١٤٥) .

قال القرطبي : اختلف الناس في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها على قولين والصحيح الأول ومحله القلب وهو أول علم يرفع من الناس [١] .

قال الإمام ابن قدامة : اعلم أن للصلاة أركانًا وواجبات وسننًا ، وروحها النية والإخلاص والخشوع وحضور القلب ، فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة لأن النطق إذا لم يعرب عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان ، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال لأنه إذا كان القصد من القيام الخدمة ، ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم ، ولم يكن القلب حاضرًا ، لم يحصل المقصود ، فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقي صورة لا اعتبار بها قال الله تعالى : ﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ** ﴾ [الحج : ٣٧] .

والمقصود أن الواصل إلى الله ﷻ هو الوصف الذي استولى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٠٤) .

على القلب حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة ، فلابد من حضور القلب في الصلاة ، ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ ، لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمه على باقيها [١] .

فينبغي أن يحضر العبد قلبه عند كل ركن من أركان الصلاة ، وأن يتدبر معاني ما يقرأ من تسبيح وتكبير وتلاوة حتى لا تكون الصلاة كالجسد الميت الذي لا روح فيه ، ولا شك أن حياة الصلاة تابعة لحياة القلب وصفاء الذهن وقطع الشواغل التي يمكن أن تتجاذب العبد فلا يمكنه أن يتدبر ما يقول ويستحضر في قلبه عظمة الله ﷻ ، فقطع هذه الخواطر يحتاج إلى قطع مادتها ، فإن كانت من الشواغل الخارجية وهي ما يشغل السمع والبصر فيصلي في مكان لا يُسمع فيه غناء أو موسيقى أو لغو أو باطل من الكلام ، ثم يحترز من الصلاة على الأمكنة المنقوشة التي ربما تجذب ذهنه كما قال النبي ﷺ لما صلى في كساء له أعلام : « **إنها ألهتني آنفًا عن صلاتي** » [٢] فلا

---

(١) « مختصر منهاج القاصدين » (٢٩) ط . دار الإمام .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٩٠/ ٥٤٧٩) واللفظ له ، ومسلم (١/ ٣٩٢/ ٥٥٦) ، عن =

يترك عنده ما يشغل حسه ثم ينظر إلى مكان سجوده حتى لا ينشغل بما يحدث حوله وهذا ـ ولا شك ـ أمر يسر ، أما الشواغل الباطنة فعلاجها هو الذي أعيا الأولين والآخرين ، وأسباب تفريغ الباطن أن ينهي العبد مشاغله قبل أن يدخل في الصلاة فلا يصلي وقد جهز له الطعام حتى لا يكون مشغول البال به ، ثم لا يصلي كذلك وهو حاقن يدافع الأخبثين أو أحدهما ، أما إن كان ما يشغل قلبه حبه للدنيا وانشغاله بشهواتها فعلاج ذلك قطع حب الدنيا من قلبه ، وأن يملأ قلبه بحب الله ﷻ ويستغرق في الهم بالآخرة فإن حبَّ الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير .

قال الموفق ابن قدامة : إن العلة متى تمكنت لا ينفعها إلا الدواء القوي ، والعلة إذا قويت جاذبت المصلي وجاذبها ، إلى أن تنقضي الصلاة في المجاذبة ، ومثل ذلك كمثل رجل تحت

عائشة رضي الله عنها قالت : صلى رسول الله ﷺ في خميصة له لها أعلامها فنظر إلى أعلاما نظرة فلما سلم قال : « اذهبوا بخميصتي هذه إلي أبي جهم فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي وائتوني بأنبجانية » .

شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه وفي يده خشبة يطيرها بها فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها ، فقيل له هذا شيء لا ينقطع ، فإذا أردت الخلاص فاقطع الشجرة ، فكذلك شجرة الشهوة إذا علت وتفرقت أغصانها انجذبت إليها الأفكار كانجذاب العصافير إلى الأشجار ، والذباب إلى الأقذار ، فيذهب العمر النفيس في دفع ما لا يندفع وسبب هذه الشهوة التي توجب هذه الأفكار حب الدنيا .

قيل لعامر بن قيس : هل تحدثك نفسك بشيء من أمور الدنيا في الصلاة ؟ فقال : لأن تختلف الأسنة فيَّ أحبُّ من أن أجد هذا [١] !

واعلم أن قطع حب الدنيا من القلب أمر صعب وزواله بالكلية عزيز فليقع الاجتهاد في الممكن منه والله الموفق [٢] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٩٢) بنحوه .
(٢) « مختصر منهاج القاصدين » (٣٠-٣١) .

فصل في بيان ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وهيئة من أعمال الصلاة

وهي الأذان ، والطهارة ، وستر العورة ، واستقبال القبلة ، والقيام ، والنية ، والتكبير ، والاستعاذة ، والبسملة ، وقراءة الفاتحة ، والسورة ، والركوع ، والسجود ، والتشهد .

الأذان :

إذا سمعت النداء بالأذان فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشور [1] بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم القيامة ، وتذكر وصف الله ﷻ للمنافقين حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ ﴾ [النساء : ١٤١] .

وصفات المؤمنين بعكس صفات المنافقين فهم يقومون بفرح ونشاط وإقبال على الله ﷻ .

---

(١) تَشَوَّر : تَهَيَّأ .

وأما الطهارة :

فإذا أتيت بها في مكانك وهو طرفك الأبعد ، ثم في ثيابك وهو غلافك الأقرب ، ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى ، فلا تغفل عن طهارة قلبك بالتوبة والندم والعزم على عدم العودة ورد المظالم فطهارة الباطن أولى من طهارة الظاهر .

وأما ستر العورة :

فمعناه : تغطية مقابح البدن عن أعين الخلق ، فلتتذكر عند ذلك مقابح باطنك وما تشتمل عليه فضائح سرك فاستحضر عند ذلك الحياء من الله ﷻ الذي لا تخفى عنه خافية لأنها مما لا يمكن ستره .

وأما استقبال القبلة :

فهو صرف ظاهر الوجه عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله ﷻ فاعلم أن الواجب مع ذلك صرف القلب عن سائر الجهات إلى الله ﷻ ، ولذا كان دعاء الاستفتاح : « **وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا** » [1] ، فالمراد : إقبال القلب

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٦/ ٧٧١) ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان
=

وإخلاصه لله ﷻ بعد توجيه البدن إلى بيت الله ﷻ .

وأما القيام :

فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله ﷻ فتذكر عند ذلك القيام بين يديه يوم القيامة عند السؤال فاستشعر عند ذلك عظمة الله ﷻ وجلاله وأعد للقيام بين يدي الله ﷻ ما تنجو به يوم القيامة .

وأما النية :

فاستشعر بها الإخلاص إلى الله ﷻ طمعًا في ثوابه وخوفًا من عقابه ومحبة في قربه ، ودرب نفسك عند ذلك على استحضار نية الإخلاص في كل قول وعمل . واعلم أنه لا ينجو يوم القيامة إلا المخلصون ، وكل عمل كان بإرادة غير الله مشوبًا مغمورًا يقول الله ﷻ عنه يوم القيامة : ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾ [1] [الفرقان : ٢٣] .

إذا افتتح الصلاة كبر ثم قال : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين .... » ثم ساق حديثًا طويلًا .

(١) الهباء المنبث هو الذي تراه في البيت من ضوء الشمس شبيهًا بالغبار [لسان =

وأما التكبير :

فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء أكبر من الله ﷻ أو كان هواك أغلب عليك من أمر الله ﷻ وأنت أطوع له منك لله ـ تعالى ـ فقد اتخذته إلهك وكبرته فيكون قولك « الله أكبر » كلامًا باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته ، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرمه سبحانه وعفوه .

وأما الاستعاذة :

فاعلم أنها الاحتماء بجناب الله ـ العظيم ـ من الشيطان الرجيم ، الذي هو مترصد لك حسدًا على مناجاتك لربك ﷻ وركوعك وسجودك له ، مع أنه لم يوفق لسجدة واحدة فجعل همه أن يقطعك عن مناجاة ربك بما يوسوس لك من هموم الدنيا ومشاغلها حتى يحرمك من شرف المناجاة وبركتها وثوابها ويقطعك عن مولاك الذي تسعد القلوب بمناجاته وحبه

العرب (١٥/ ٣٥١)] .

ومعنى الآية « أن الله تعالى أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور » القرطبي (١٣/ ٢٢) .

وتشرف في الدنيا والآخرة بذكره وشكره وحسن عبادته .

وأما البسملة :

فَانْوِ بها التبرك باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم .

وإذا قلت ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فاستحضر في قلبك أنواع لطفه ليتضح لك رحمته فينبعث الرجاء في قلبك .

وأما قراءة الفاتحة :

فتذكر قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ : « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله تعالى : أثنى علي عبدي ، وإذا قال : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال : مجدني عبدي ، وقال مرة : فوض إلي عبدي ، فإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** » [1] .

(١) أخرجه مسلم (١/ ٩٦/ ٣٩٥) .

قال النووي : قال العلماء : المراد بالصلاة هنا الفاتحة ، سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها ، كقوله ﷺ : « الحج عرفة » ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة ، قال العلماء : والمراد قسمتها من جهة المعنى ؛ لأن نصفها الأول : تحميد لله تعالى وتمجيد وثناء عليه وتفويض إليه ، والنصف الثاني : سؤال وطلب وتضرع وافتقار (١) .

قال الغزالي : فلو لم يكن لك من صلاتك سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة ، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله (٢) ؟

وأما قراءة السورة :

فعليك بتدبر القراءة والوقوف عند كل آية حتى تفهم معناها قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٣) [محمد : ٢٤] .

---

(١) شرح النووي على « صحيح مسلم » (٤/ ١٣) .

(٢) « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٠١) .

(٣) « والمعنى أنهم لو تدبروه حق تدبره لوجدوه مؤتلفًا غير مختلف صحيح المعاني =

فلا يغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه ، ولكل واحد حق ، فالرجاء من حق الوعد ، والخوف من حق الوعيد ، والعزم على الطاعة حق الأمر والنهي ، والاتعاظ حق الموعظة ، والشكر حق المنة ، والاعتبار حق القصص (١) .

قال القاسمي : وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ، ودرجات ذلك لا تنحصر ، والصلاة مفتاح القلوب فبها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضًا ، ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل (٢) .

وأما الركوع والسجود :

قال ابن قدامة : واستشعر في ركوعك التواضع وفي سجودك زيادة الذل لأنك وضعت النفس موضعها ورددت

قوي المباني بالغًا في البلاغة إلى أعلى درجاتها » ، « فيض القدير » (١/ ٤٩١) .

(١) « إحياء علوم الدين » بتصرف (١/ ٣٠١) ط . الشعب .

(٢) « تهذيب موعظة المؤمنين » (٦٥) .

الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه وتفهم معنى الأذكار بالذوق [١] .

وقال القاسمي : فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه ، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر مع ذلك عز مولاك واتضاعك ، وعلو ربك ، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك ، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل شيء ، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ، ثم ترفع من ركوعك مؤكدًا للرجاء في نفسك بقولك : « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه » أي : أجاب لمن شكره ، ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول : « ربنا لك الحمد » ثم تهوي إلى السجود ، وهو أعلى درجات الاستكانة [٢] ، فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب ، وعند ذلك جدد على قلبك عظمة الله وقل : « سبحان ربي الأعلى »

---

(١) « مختصر منهاج القاصدين » (٣٢) .

(٢) الاستكانة : أي الخضوع ، (واستكان الرجل : أي خضع وذل) [لسان العرب (١٣/ ٣٧١)] .

ثم ارفع رأسك مكبرًا وسائلًا حاجتك وقائلًا : « رب اغفر وارحم » [١] ، ثم أكد التواضع بالتكرار ، فَعُدْ إلى السجود ثانيًا كذلك .

وأما التشهد :

قال الغزالي : فإذا جلست له فاجلس متأدبًا وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات ، أي : من الأخلاق الطاهرة لله ، وكذلك الملك لله ، وهو معنى التحيات [٢] ، وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم ، وقل : سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ثم تسلم على نفسك وعلى

---

(١) قد ورد في سنن ابن ماجه (١/ ٢٩٠/ ٨٩٧) وغيره بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين « رب اغفر لي رب اغفر لي » انظر « صحيح ابن ماجه » (٧٣٢) .

وللعلامة الألباني بحث لطيف في صحة هذا الحديث انظر « الإرواء » (٣٣٥) .

(٢) قال السيوطي في شرحه لـ « سنن النسائي » (٣/ ٣٨) ط . مكتب المطبوعات الإسلامية : « التحيات لله : جمع تحية وهي الملك ، وقيل البقاء ، وقيل : العظمة ، وقيل : إنما قيل التحيات بالجمع لأن ملوك العرب كل واحد منهم يحييه أصحابه بتحية مخصوصة فقيل : جميع تحياتهم لله ـ تعالى ـ وهو المستحق لذلك حقيقة » .

جميع عباد الله الصالحين ، ثم تشهد له ـ تعالى ـ بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة مجددًا عهدًا لله ـ سبحانه ـ بإعادة كلمتي الشهادة ، ثم صلي على رسول الله ﷺ الصلاة الإبراهيمية ثم تعوذ بالله من أربع : من عذاب النار ، وعذاب القبر ، وفتنة المحيا [1] والممات ، وشر فتنة المسيح الدجال ثم سلم ، واقصد عند التسليم السلام على الملائكة الحاضرين ، واستشعر شكر الله ـ سبحانه ـ على توفيقه لإتمام هذه الطاعة واستشعر كذلك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة ، وخَفْ أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتًا [2] بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك ، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله .

---

(١) قال ابن دقيق العيد : « **المحيا** » ما يُعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات وأعظمها ـ والعياذ بالله ـ أمر الخاتمة عند الموت .
وفتنة « الممات » يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت أضيفت إليه لقربها منه ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك ويجوز أن يراد بها فتنة القبر ، انظر « عون المعبود » (٣/ ٩٥) .

(٢) المقت في الأصل : أشد البغض [لسان العرب (٢/ ٩٠)] .

فهذا تفصيل صلاة الخاشعين ، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ ، والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية ، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة ، فبالقدر الذي يسر له من الخشوع ينبغي أن يفرح ، وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر ، وفي مداواة ذلك ينبغي أن يجتهد .

وأما صلاة الغافلين فهي مخطرة ، إلا أن يتغمده الله برحمته ، والرحمة واسعة والكرم فائض ، فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته ، إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته .

هذا آخر ما تيسر لنا نقله ، والله تعالى نسأل أن يعم نفعه وأن يرزقنا يوم القيامة بره وذخره . وكانت المراجعة النهائية يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الآخر ١٤٠٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أزكى صلاة وسلام وتحية .

مراجع الرسالة

المرجع	الناشر
١- القرآن الكريم	
٢- تفسير القرآن الكريم لابن كثير	دار المعرفة
٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي	دار الشعب
٤- محاسن التأويل للقاسمي	دار الفكر
٥- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا	دار المعرفة
٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني	السلفية
٧- مسلم بشرح النووي	المكتبة المصرية
٨- عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي	دار الوحي
٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق أبادي	السلفية بالمدينة
١٠- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي	دار المعرفة
١١- سنن ابن ماجه بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي	المكتبة العلمية
١٢- مسند أحمد بفهرس الألباني	المكتب الإسلامي
١٣- جامع الأصول لابن الأثير	دار الفكر

١٤- مستدرك الحاكم مع تلخيص الذهبي	**دار المعرفة**
١٥- السلسلة الصحيحة للألباني	**المكتب الإسلامي**
١٦- صحيح الجامع للألباني	**المكتب الإسلامي**
١٧- ضعيف الجامع للألباني	**المكتب الإسلامي**
١٨- موارد الظمآن في دروس الزمان للسلمان	**الطبعة الثالثة عشرة**
١٩- إحياء علوم الدين للغزالي	**طبعة الشعب**
٢٠- تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي بتحقيق الفريوائي	**مكتبة الدار**
٢١- التبصرة لابن الجوزي	**ط. الحلبي**
٢٢- المدهش لابن الجوزي	**المكتبة العلمية**
٢٣- الضياء اللامع للعثيمين	**قرطبة**
٢٤- كتاب الصلاة لابن القيم	**دار عمر بن الخطاب**
٢٥- الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي	**دار الشعب**
٢٦- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة	**الإمام**
٢٧- تهذيب موعظة المؤمنين للقاسمي	
٢٨- تحذير الأمة عن التهاون بصلاة الجماعة والجمعة لعبد العزيز بن عبد الرحمن	**مكتبة التوعية**

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
أول فريضة بعد الإخلاص	٦
افتراضها على جميع الأنبياء	٧
نص التنزيل على وجوبها	١١
كان النبي ﷺ يأخذ البيعة عليها	١٢
من أعمدة الإسلام الخمسة	١٢
أداؤها في وقتها أحب الأعمال إلى الله ﷻ	١٣
أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعمال الجوارح	١٤
كفارة للذنوب	١٥
مدح الله المصلين	١٧
توعد الله من أضاعها	١٩
اشترطت الطهارة لأدائها	٢٤

تؤدى بالقلب مع جميع الجوارح ٢٥
أمر الله ﷻ بالفزع إليها والاستعانة بها ٢٦
جميع أعمالها توحيد لله وتعظيم له ٣١
أمروا بالخشوع فيها ٣٣
افترضها الله ﷻ خمس صلوات ٣٦
النار لا تأكل من ابن آدم آثار السجود.................. ٣٨
يتميز المؤمنون من المنافقين يوم القيامة بالسجود ٣٩
نهوا عن الالتفات في الصلاة........................... ٤٢
قال النبي ﷺ : « **مروا أولادكم بالصلاة لسبع** »...... ٤٤
سمى الله ﷻ الصلاة إيمانًا ٤٦
قال النبي ﷺ : « **الذي تفوته صلاة العصر كأنما**
وتر أهله وماله » ٤٧
اشتملت الصلاة على جُلِّ أنواع العبادات ٥٠
أمر الله ﷻ بالمحافظة على الصلاة ٥١
الأحاديث في فضل السجود.......................... ٥٥
الصلاة قرة عين رسول الله ﷺ ٥٨

الصلاة صلة بين العبد وربه ٦٠
الصلاة آخر وصية رسول الله ﷺ.......................... ٦٢
أوصى إمام أهل السنة بالصلاة ٦٤
لعظيم قدر الصلاة يحاول الشيطان أن يقطع
ابن آدم عنها ٦٦
لعظم قدر الصلاة شرعت صلاة الجماعة ٦٧
فصل في علاج حضور القلب استحضار
عظمة الرب ٧٣
فصل في بيان ما ينبغي أن يحضر في القلب
عند كل ركن وهيئة في الصلاة.......................... ٨٠
مراجع الرسالة ٩١
الفهرس ٩٣

من إصداراتنا

خصائص أهل السنة

الدكتور

أحمد فريد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين